

إهداء من

مكتبة
أ. د. محمد عبد الحميد عيسى

مؤتمر الحركات الهادئة في

التاريخ الإسلامي

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

بالتعاون مع

رابطة الجامعات الإسلامية

الزقازيق ١٩٩٠

ابن مسرة والمدرسة المسرية في الاندلس

بقلم الدكتور

محمد عبد الحميد عيسى

استاذ التاريخ الاسلامى المساعد

كلية التربية - جامعة عين شمس

نشر هذا البحث بالمجلد الثالث من أعمال المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى الغيورين على دين الله
من اهل الاندلس
وحافظوا
على السنة والجماعة باستمرار
فى
ذكرى ٥٠٠ عاماً
على
ضياع الاندلس
١٤٩٢م - ١٩٩٢م

د. محمد عبد الحميد عيسى
كلية التربية - جامعة عين شمس

مكتبة

أ.د. محمد عبد الحميد عيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

بمقام الدكتور
محمد عبد الحميد عيسى صقر
استاذ التاريخ الاسلامى المساعد
كلية التربية - جامعة عين شمس

ابن مسرة و المدرسة المسرية فى الاندلس

من الشخصيات الاندلسية البارزة التى سطعت باكراً فى افق الحياة الفكرية على ارض شبه الجزيرة الايبيرية شخصية محمد بن عبد الله بن مسرة؛ الذى عرف بابن مسرة الجبلى او ابن مسرة الاندلسى او ابن مسرة القرطبى ٢٦٩ / ٣١٩ هـ - ٨٣٣ / ٩٣١ م .

ومن هنا لم تهمل كتب التراجم الاندلسية الاشارة الى محمد بن عبد الله بن مسرة وإن كانت هذه الكتب لم تسهب فى الحديث عنه بسبب آرائه الدينية و افكاره الفلسفية وما شابها من تهمة الاتحاد والزندقة ، أما بالنسبة للدراسات الحديثة فلقد كان الفريقون اشد احتفاء بابن مسرة وآرائه و كتبه وتأثيره فى الفكر الأندلسى وامتداد هذا التأثير الفكرى الى العالم المسيحى . ويكفى للدلالة على ذلك أن المستشرق الأسباني الكبير مجيل آسين بالاثيوس قد خصص له كتاباً مستقلاً عنوانه

Iben masarra y su Escuela : origenes de la filosofia hispana- musul man -
madrid 1914

ابن مسرة و مدرسته ، أصول الفكر الفلسفى فى أسبانيا الاسلامية . مدريد ١٩١٤
وعلى العكس من ذلك فان اهتمام علماء المسلمين بابن مسرة و آرائه - سواء اتفقنا معها أم اختلفنا - لم تكن بنفس المستوى ، و لم أجد الا شذرات قليلة فى كتابات المؤرخين المسلمين المحدثين ، وليس ادل على ذلك من ان مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد ، وهى المجلة الوحيدة فى العالم الاسلامى المتخصصة فى الدراسات الاندلسية ، وهى متواصلة الصدور منذ عام ١٩٥٢ وحتى الآن لم تحمل أية مقالة او دراسة عن تلك الظاهرة الفكرية ، والتى كان لآرائها الدينية دوماً سبب انشقاقاً بين الناس حول مدى طهارتها و

سلامتها ، وفى الوقت الذى جعله البعض اماماً و معلماً . اتهمه آخرون بالهرطقة و الزندقة ، كما جعله البعض من متفلسفى الأفلاطونية الحديثة ، وصاحب مذهب فى الاعتقاد الى غير ذلك من الآراء .

رسالة البحث ،،

تهدف هذه الدراسة المختصرة الى التعريف بمحمد بن عبد الله بن مسرة الأندلسى و مكانته فى إطار الحركة الفكرية التى بدأت تتطور على أرض الأندلس وتأثير هذا الرجل فكرياً على معاصريه و لاحقيه ، والأحداث السياسية التى عاصرتها وأثرت وتأثرت فى هذه الافكار ، وما تعرض له وأصحابه من ضغوط السياسة وتشنيع العامة و الفقهاء ، واحتمال امتداد هذه الآراء فى الأجيال التالية سواء فى المشرق أو المغرب الى أن اهملت وغطت عليها غلائل النسيان .

محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيج القرطبي .

ولد هذا الرجل بمدينة قرطبة على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل و ذلك عام ٢٦٩ هـ / ٨٣٣ م ، تلقى تعليمه أول الأمر على يد والده عبد الله بن مسرة والذى سيتضح لنا أن تأثير الوالد كان خطيراً و حاسماً فى تكوين هذا الفيلسوف الأندلسى الناشئ ، كما استمع إلى محمد بن وضاح و الخشنى على ما يقول بن الفرضى (١)

(١) ابن الفرضى :

علماء الأندلس الدار المصرية للتأليف و الترجمة عام ١٩٦٦ الترجمة رقم ١٢٠٤ ج ٢ ص ٣٩ ، و المقصود هنا هو محمد بن حارث الخشنى ، لأنه من المستحيل ان يكون المقصود محمد بن عبد السلام الخشنى لوفاته عام ٢٦٨ هـ قبل مولد ابن مسرة ، ورغم ان محمد بن حارث الخشنى لم يظهر فى الأندلس الا فى منتصف عصر الناصر ، وانه كان بالقيروان سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ الا انه من المحتمل ان يكون ابن مسرة قد التقى به فى القيروان اثناء رحلة ابن مسرة الى المشرق و التى قام بها فى اواخر عهد الامير عبد الله بن محمد أى فى نهاية القرن الثالث الهجرى .

نبيغ بن مسرة فى العلوم الدينية و الفقهية إلى درجة كبيرة حتى قال فيه ابن حيان إنه كان " يسرد مسائل مدونة المالكية عمدة السنة سرد القرآن ، ويشققها بالاجتهاد بأوضح برهان حتى يخرج فيها اجزاء مختصرة حسنة لم يزل الاجماع من مخالفه الى اليوم واقعاً على انها أفضل وأوجز وأبسط من كل مختصرة صيغت فيها فبرسوخه فى بسط العلم ، وتأنيه فى الاستدراج للخصم كان يستهوى العقول ويصيد الافئدة (٢) كما إنه كان لبقاً حسن الكلام ، بارعاً فى استخدام الالفاظ حتى قال فيه ابن الفرضى " وكان له لسان يصل به الى تأليف الكلام ، وتمويه الالفاظ واخفاء المعانى " (٣)

ولقد تمتع بمكانة أدبية بارزة وضرب بسهم وافر فى البلاغة و الشعر حتى أشاد به ابن حزم فى رسالته التى دبغها فى فضائل الأندلسيين ، وعده من العلماء المشهورين فقال : ولنا من البلغاء احمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا ... و محمد بن عبد الله بن مسرة فى طريقه التى سلك فيها ، وإن كنا لا نرضى مذهبه (٤)

أما فى الشعر فلقد بدت مواهبه مبكرة ، و على الرغم من اختفاء مؤلفات ابن مسرة الا ان الشوارد التى ابقت عليها كتب التراث يمكن أن تعطينا صورة واضحة عن الملكة الشعرية والادبية عند ابن مسرة و يتضح لنا ذلك من تلك الأبيات المؤثرة التى رثى بها أخاه ابراهيم حين وفاته بمدينة الاسكندرية ، و كان ابراهيم ، ويكنى ابا اسحق ، من ذوى الفضل سمع من

ابيه ومن محمد بن وضاح و الخشنى ، ورحل مع ابيه عبد الله ، فسمع من جماعة وتوفى بالاسكندرية ، ورثاه أخوه محمد بقصيدة أولها :

أحقاً أيها الناعى السميع أبو اسحق ليس له رجوع

(٢) ابن حيان : المقتبس ، السفر الخامس ، تحقيق بدور شالميتا ، مدريد ١٩٧٨ ص ٢١ .

(٣) ابن الفرضى : علماء الاندلس ج ٢ ص ٣٩

(٤) المقرئ : نفح الطيب ، الطبعة الاولى لدار الفكر العربى بيروت ١٩٨٦ ج ٤ ص ١٧٣ : رسالة ابن حزم فى فضائل الاندلسيين. و انظر ايضاً ابن الفرضى فى علماء الاندلس ج ١ ص ١٥

وفيهما

على الاسكندرية عرج فسلم لتقضى من لبناتها الدموع
ففى عرصاتها شمل شتيت تشتت دونها صبر وجيع^(٥)

ولم تكن سن ابن مسرة حين قال هذه الابيات تتجاوز السابعة عشر لان ابراهيم مات قبل والده عبد الله ، و عبد الله مات و ابنه محمد دون السابعة عشرة .

كما أورد له الفتح بن خاقان ابياتاً أخرى فى مطمح الذى حاول ان يجمع فيه أشعار الأندلسيين الجميلة ثم نقلها بعد ذلك المقرئ فى نفح الطيب ، يقولان : وكتب ابن مسرة الي أبى بكر اللؤلؤى يستدعيه فى يوم طين ومطر لقضاء أرب من الأنس ووطر .

أقبل فإن اليوم يوم وجن إلى مكان كالضمير مكنى
لعلنا نحكم فيه أشهى فن فأنت فى ذا اليوم أشهى منى^(٦)

وكذلك اورد له ابن حيان شعراً حسناً تتضح فيه ملكة ابن مسرة الشعرية و تبحره فى فنونه ، فبعد الرثاء و الاستدعاء نجد له فى مجال الحكمة و الموعظة قوله :

حتى متى نحن فى الايام نحسبها وإنما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم نحن نأمله لعله أجلب الأيام للحين^(٧)

. وأخيراً فان ابن الكنانى الطبيب قد اختار من أشعار ابن مسرة قطعتين منها القطعة رقم ٤٦٦ والتي مطلعها :

(٥) ابن حيان :نفس المصدر السابق ص٣٤

(٦) الفتح بن خاقان : مطمح الانفس و مسرح التأنس فى ملح اهل الاندلس ص ٢٨٦ و الضبى ، بغية

الملتبس الترجمة ١٦٣ و انظر ايضاً المقرئ فى نفح الطيب ج ٥ ص ٩٨

(٧) ابن حيان : المصدر المشار اليه ص ٣٢

كأنهم دانو بأنك ربهـم فخرؤا جميعاً حين أطللت سجداً
كأن رقاب المشركين قصائد تكون لها عليك فى الحرب منشداً
وكذلك القطعة رقم ٦٠٣ و التى يقول فيها ابن مسرة
إنما الموت غاية نحن نسعى خبيباً نحوها على الأقدام
إنما الليل و النهار مطايا لبنى الأرض نحو دار حمام . (٨)

ومن الدلالات على النبوغ الباكر لمحمد بن عبد الله بن مسرة تحلق الطلاب حوله و هو فى السابعة عشرة من عمره ، و اتخذ مقرأً لتدريسه صومعة أو مكاناً منعزلاً يفد عليه فيه الطلاب و التلاميذ يستمعون اليه و يعلمهم ، ومن هنا عرف بابن مسرة الجبلى لمكانه المنعزل بالقرب من جبل قرطبة .

رحلة ابن مسرة :

يبدو ان ابن مسرة لم يقتصر فى كلامه على الجوانب الفقهية فحسب او على مسائل البلاغة والشعر ، وإنما تعدى ذلك الى تعليم الطلاب . بعض الآراء الفلسفية و مبادئ الاعتزال و الافكار الباطنية السرية لبعض حكماء اليونان القدامى و خاصة امبيدقليس أو " بند قليس " Empedocles كما يسميه صاعد الطبقي حيث يقول عنه: " فأما بند قليس فكان فى زمن داود عليه السلام على ما ذكره العلماء بتواريخ الامم ، وكان أخذ الحكمة عن لقمان بالشام ، ثم انصرف الى بلاد اليونانيين فتكلم فى خلقة العالم بأشياء يقدح ظاهرها فى امر المعاد فهجره لذلك بعضهم . وطائفة من الباطنية تنتهى الى القول بحكمته ، وتزعم ان له رموزاً قلما يوقف عليها . وكان محمد بن مسرة الجبلى الباطنى من أهل قرطبة كلفاً

(٨) ابن الكتانى الطيب : كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس ص ٢٢٢ ، و ص ٢٧١

بفلسفته دؤباً على دراستها . وكان - بيند قليس - أول من ذهب الى الجمع بين معانى صفات الله تعالى ، وأنها كلها لا تؤدى الى شىء واحد ، وأنه وان وصف بالعلم و الجودة والقدرة فليس هو ذو معان متميزة تختص بهذه الاسماء المختلفة ، بل هو الواحد بالحقيقة الذى لا يتكرر بوجه ما أصلاً باختلاف سائر الموجودات ، فإن الوجدانيات العالمية معرضة للتكثير اما باجزائها و إما بمعانيها و اما بنظائرها و " ذات البارى " تعالى متعالیه عن هذا كله
والى هذا المذهب فى الصفات ذهب ابو الهذيل محمد بن الهذيل ابن العلاف المصرى (٩)

ورغم الحرص الشديد من قبل ابن مسرة وتلاميذه فى اخفاء حقيقة ما يقولون به وتيقظهم لكى لا يبدروا من ناحيتهم ما يثير الشكوك أو يزرع الريبة ، فإن الأقاويل بدأت فى التناثر حول ما يجرى فى تلك الصومعة المنعزلة فى الجبل القرطبى ، وجرى الهمس مجرى النار فى الهشيم أنه تحت تلك المظلة الدينية ، المتزمتة أحياناً و المتسريلة يسراييل الذهب والورع أحياناً أخرى لا بد وأن هناك ما يريب وما يثير التوجس .

قيل ان ابن مسرة ينشر الهرطقة و الالحاد ، وأنه يقول بقول المعتزلة فى حرية الانسان فى اختيار أفعاله ، وأن الانسان مسئول عن عمله تماماً ، وزاد العامة فى الشائعات ، فنسبوا إليه القول بعدم الحساب أو الجزاء و من ثم انكار النار فى الحياة الآخرة إلى آخر هذه الآراء التى كان يقول بها الزنادقة والملحدون .

أما المثقفون و المتعلمون فلم ينسبوا الى ابن مسرة أكثر من قيامه بالتدريس لطلابه الفلسفة الباطنية أو الوثنية التى كان يقول بها الحكيم اليونانى القديم بند قليس Empedocles .

إزدادت الشائعات حدة ، وأصبح واضحاً انه لن يمر وقت وطويل حتى يجد ابن مسرة نفسه

(٩) صاعد :طبقات الامم - مطبعة التقدم بمصر د . ت ص ٢٨ .

وتلاميذه امام حيثيات الادانة بالمروق من الدين و الاتهام بالزندقة وهى اتهامات يمكن ان تكون لها عواقب وخيمة^(١٠)

أضف الى ذلك ان الحالة السياسية فى الأندلس فى نهاية القرن الثالث الهجرى كانت على درجة كبيرة من السوء ، وان عرش الأمير عبد الله بن محمد كان يهتر تحت ضربات الحركات الانفصالية و ثورات المولدين و العرب والبربر التى نشبت فى اجناب الاندلس وأكثرها خطورة ثورة عمرو بن حفصون فى جنوب الأندلس و تمرد بنى قسى فى شمال الاندلس وهما ثورتان يرى المستشرقون انهما لو كانتا قد اتحدتا لقضيتا مبكراً على الوجود الاسلامى فى شبه جزيرة الاندلس^(١١) ، ولقد اعطى ذلك الوضع المتردى العامة مزيداً من التأثير على السلطات الحاكمة ، ولم يكن ذلك بالطبع فى صالح ابن مسرة الذى خرج " فاراً " من الاندلس^(١٢) يصحبه بعض طلابه منهم محمد بن حزم بن ابي بكر التنوخى و الذى عرف بابن المدينى^(١٣) وأيوب بن فتح ومعهم احمد ابن غانم ، وكان أسن من ابن مسرة ، ورافقه ايضاً محمد بن وهب المعروف بابن الصيقل و كان أصغر سناً^(١٤) ورغم ان مترجمى ابن مسرة لم يشيروا بالتفصيل ، إلى رحلته و الأماكن التى تردد عليها الا أن أول محطة التقينا به خلالها كانت مجلس فقيه القيروان احمد بن نصر المتوفى ٣١٧ هـ بمدينة القيروان يروى ابن عذارى نقلاً عن ابن حارث الحشنى و ذلك عند حديثه عن عام ٣١٧ هـ فيقول :

"وفيه مات بالقيروان من الفقهاء احمد بن نصر بن زياد ، سمع من محمد بن مجنون وغيره ، وكان عالماً بالمناظرة مليئاً بالشاهد صحيح المذهب ، سليم القلب . قال محمد بن حارث :

(١٠) آسين بلاثيوس : ابن مسرة و مدرسته ص ٣٢

Asin palacios: Iben Masarra y su Escuela , p. 33

(١١) نفس المصدر ص ٣٣ .

(١٢) ابن الفرضى : علماء الاندلس ج ٢ ص ٣٩

(١٣) المقرئ : نفح الطيب ج ٥ ص ٣٥٤ -

(١٤) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى - مصر سعادة قرطبة ص ٣٢-٣٣

حضرته يوماً وعنده جماعة من المناظرين فى المسائل ، حتى دخل عليه محمد عبد الله بن مسرة القرطبي فى حين توجهه إلى الحج ، فسلم و جلس جانباً ، وهو يجيل بصره فى وجوه المتكلمين ، قال فلم أشك أنه من أهل العلم ، ولم أكن عرفتة باسمه . فلما أظهر الشيخ احمد بن نصر القيام قال له : "يا شاب جلست منذ اليوم فهل من حاجة تذكرها ؟ فجأوبه محمد بن مسرة بكلام حسن بليغ ، و قال له : "أتيتك مقتبساً من نورك ، ومستمداً من علمك " و جأوبه احمد بن نصر ايضاً بجواب حسن ثم قام ، وقمنا باثره .^(١٥) ويوقعنا تاريخ هذا النص فى حيرة ، لأن ابن عذارى أورده عند حديثه من عام ٣١٧ هـ وقول الخشنى انه كان متوجهاً الى الحج . حيث يتعارض ذلك مع بداية رحلة ابن مسرة و التى حدد لها عام ٢٩٨ هـ ومن ثم فإن وجوده في افريقية لا يمكن ان يتجاوز السنوات الاولى من القرن الرابع الهجرى

ويورد الدكتور احسان عباس هذه الرواية بصورة اكثر تفصيلاً فيقول : وفى اوائل ايام عبد الرحمن الناصر - أى سنة ٣٠١ هـ على التحديد - خرج الى المشرق فاراً بنفسه لانه اتهم بالزندقة ، ودخل القيروان فلبث بها مدة ، وهناك رآه الخشنى فى مجلس استاذة ابى جعفر احمد بن نصر . احد تلامذة سحنون ، قال الخشنى : فسلم و جلس جانباً و أنا لا أعرفه ، ولا أحد من المجلس ، فرأيتة يقلب بصره فى وجوه المتكلمين ، ويدبل النظر فيما بينهم ، فعل من قد رسخ فى الصنعة ، وعرف ما نحن فيه ، فلم اشك أنه من أهل العلم ، وما فطن بذلك منه غيرى ، وغير فتى من اصحابى يعرف برييع القطان ، وطال المجلس بنا على تلك الحال ، حتى أظهر الشيخ التحرك ، وأوماً الى القيام ، وتداعى أهل المجلس الى النهوض ، فكرهت انا ان أقوم حتى اعرف آخراً من الرجل الداخل علينا ، فثبت . فلما خف المجلس ، تحول إليه احمد بن نصر فقال له : يا شاب ، جلست منذ اليوم فهل من حاجة تذكرها ؟ فاندفع محمد بن مسرة بكلام مصنوع إلا أنه حسن من كلام جيد فقال أتيتك مقتبساً من نورك ، ومستمداً بعلمك - إلى ما يشبه هذا القول - وأتى به شبيهاً بخطبة موجزة ، و لا عهد لاحمد بن نصر بمن يخاطبه

(١٥) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ١٩٥ ، تحقيق كولان ، وليفى بروفنتال

بهذا الضرب من الخطاب ، فجعل الشيخ ينظر اليه و يفهم عنه حتى اتى ابن مسرة على ما أحب ان يتكلم به ثم سكت . فكان جواب احمد بن نصر له فى ذلك كله ان قال له يا شاب هذه الصفة هى فى القبور ، رحم الله من كانت هذه صفته . فوضع ابن مسرة يديه فى الارض ثم قام وقمنا فى أثره (١٦) . وواصل بن مسرة تجواله فى بلاد العالم الاسلامى و مع ذلك فليس لدينا اية معلومات عن وجوده فى أية مدينة أخرى غير المدينة المنورة بالحجاز فقد أدى فريضة الحج أكثر من مرة وزار قبر النبى عليه السلام بالمدينة و أقام فيها مدة يتتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدلله بعض اهل المدينة على دار مارية أم ابراهيم فقصده إليها ، فاذا دويرة لطيفة بين البساتين بشرق المدينة عرضها و طولها واحد ، قد شق فى وسطها بحائط ، وفرش على حائطها خشب غليظ يرتقى الى تلك الفرش على خارج لطيف ، وفى أعلى ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى الصيف ، فصلى ابن مسرة فى البيتين و السقيفة ثم قاس بشبره تلك الدار وبنى مثلها لسكناه ، لما عاد الى الجبل بقرطبة . (١٧) .

تجمع المصادر التاريخية على تجول ابن مسرة بالشرق و أنه اشتغل بملاقة المتكلمين وأصحاب المقالات ، و أهل الجدل من المعتزلة و غيرهم . فحذق أقوالهم ثم انصرف الى الاندلس فظهر نسكاً وورعاً واعتزلاً للناس (١٨)

(١٦) إحسان عباس : المصدر المشار إليه ص ٣٢ ، كما أورد آسین بلاثيوس هذه القصة موضحاً جوانب الاعجاب بابن مسرة فى كتابه المشار اليه ص ٣٥

Iben masarra y su Escuela . p . 35

(١٧) احسان عباس : المصدر المشار اليه ص ٣٢ ، آسین بلاثيوس ، المصدر المشار اليه ص ٣٦

(١٨) ابن حيان:المقتبس ، ج ٥ ص ٣٢ و انظر ايضاً ابن الفرضى الترجمة ١٢٠٤

عودة ابن مسرة من المشرق

فى تاريخ لم يحدده المؤرخون عاد ابن مسرة إلى الأندلس ابان عصر الامير عبد الرحمن الناصر لدين اله ، و أرجح الاحتمالات أن تكون عودته بعد السنوات العشر الأولى من حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر لاننا لا نستطيع أن نهمل رواية ابن عذارى و التى نقل فيها لقاء ابن مسرة مع ابن حارث فى مجلس فقية القيروان احمد بن نصر .

عاود ابن مسرة دروسه فى خلوته الجبلية حيث انتابه الطلاب و المريدون وقد افاد من خبرته السابقة و من اتصاله بالحلقات الباطنية فى المشرق فالتزم جانب الحيطه و الحذر فلم يفصح عن رأى مذهبه الا للخاصة من تلاميذه ، وذلك على شكل امارات ورموز ، وكان له أسلوب بارع فى التعليم جذب به القلوب و خدع به البسطاء و ارتدى ثياب الزهد و البساطة ، وبدأ يأخذ أهل السلامة هائماً به فى ارحب واد بأختل ذريعة وهو فى الطرفين مرهف النصل ماضى الضريبة ، يسرد مسائل مدونة المالكية عمدة السنة مسرد القرآن و يشققها بالاجتذاب بأوضح برهان فبرسوخه فى بسط العلم و تأنيه فى الاستدراج للخصم كان يستهوى العقول و يصيد الافئدة .

ويواصل ابن حيان سرده لاسلوب ابن مسرة فى التعليم فيقول : " وكان من شأنه أن يلقى أول من يأتيه مقتبساً من أهل السلامة بالمساهلة إلى أن يختله عن رأيه بالمفاضلة . فاذا أصغى إلى عذوبة منطقته و علق فى شرك حجاجه غره بمكره الذى كاد يستطيع أن يسرق رفقا بباطله عن الطائر فرخه ، فلا يبعد أن يلفته عن رأيه ، ويشككه فى اعتقاده فيقلبه إلى اختياره ويحصله فى اتباعه ، فاستوى خلقاً من الناس صدهم عن سبيل السنة وأوحشهم من الجماعة ، واتخذ من راسخيهم فى مذهبه دعاة وأئمة ، دخل فى عرضهم رجال من ذوى الفهم والوجهة وصموا باتباعه فادرعوا بذلك خزية ، ولم يزل يستظهر عليهم بالمواثيق فى الكتمان الا من الثقات الوثاق العقدة فاكتتم بذلك شأنه الى ان عافلته المنية صدر دولة الناصر لدين الله . فرفع الله بموته عن الناس فتنة (١٩)

ماذا أخذ المؤرخون علي ابن مسرة ؟

نجح محمد بن مسرة نجاحاً كبيراً في اخفاء حقيقة معتقداته ، رغم انه قد دون عدة مؤلفات لم يكن نصيبها في الانتشار و الذبوع باكثر من نصيب صاحبها حيث لا نعلم على وجه اليقين عدد مؤلفاته ولا اسماءها الحقيقية ، الا انه يمكننا ان نذكر اسم اثنين من مؤلفاته على وجه التاكيد هما "كتاب التبصرة" الذي يحتوى دون شك علي مفتاح مذهبه الباطنى و " كتاب الحروف "وهو يبحث في ذلك الجبر الصوفى .

ويرى الدكتور احسان عباس ان ابن مسرة لم يكن يخرج كتاباً الا بعد ان يتعقبه حولاً كاملاً ، فلما ألف التبصرة احتال صاحبه حى بن عبد الملك الذى كان يسكن معه في متعبده بالجبل فاستخرج كتاب التبصرة ، وانتسخ منه نسخة لنفسه ورد الاصل ، ثم أرى النسخة لابن مسرة وقال : تعرف هذا الكتاب ؟ فلما تصفحه قال له : لا نفعلك الله به ، ولم يخرج كتاب التبصرة بعد ذلك الى أحد . (٢٠)

بدأت هذه المؤلفات تتسرب الى أيدي الناس و انتقلت من الاندلس الى المشرق فأثارت حفيظة الفقهاء وغضبهم وتصدوا للرد عليه فكان ممن تصدى للرد من المشاركة ، احمد بن محمد بن زياد الاعرابى و احمد بن محمد بن سالم التستري (٢١) ، ومن رد عليه من الاندلسيين ابن ابيض وقد جمع في الرد عليه كتاباً كبيراً حفيلاً أكثر فيه من الحديث والشواهد ، وللزبيدي ايضاً كتاباً في الرد عليه ، وللقاضى ابن زرب كتاب قرىء عليه واخذ عنه مرات بقرطبة (٢٢) ويمكن لنا ايجاز ما اخذ على ابن مسرة من اتهامات فى النقاط التالية : ١- كان يقول بالاستطاعة ، وانفاذ الوعيد ، وبحرف التأويل فى كثير من القرآن . وكان مع ذلك يدعى التكلم على تصحيح الاعمال ، ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق فى

٢٠ - احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى - نقلاً عن التكملة لابن البار ص ٣٤

٢١ - ابن حيان : المقتبس ج ٥ ص ٢٣

٢٢ - احسان عباس : المصدر المشار اليه ص ٣٥

نحو من كلام ذى النون الاخميمى وابى يعقوب النهر جورى (٢٣)

أما ابن حيان فقد وصفه بالظنين المرتاب المرائى بالعبادة ، المنطوى على دخل السريرة محمد بن عبد يالله بن مسرة الرابض للفتنة ولما عاد الى الاندلس طمع فى تغريق كلمة اهلها ، فتوارى فى شعب الزهاد وتذرع بها الى القدح السنة فألف الكتب البارعة ، وبث الرسائل القارعة وصنف المقالات الناكبة ، وسدل على مغمضاتها ستور المغالطة ، فقال " بانفاذ الوعد و الوعيد ، وضعف احاديث الشفاعة ، وباعد عن التجاوز والرحمة . " (٢٤)

اما الفتح بن خاقان فقد قال فيه انه "كان على طريقه فى الزهد و العبادة سبق فيها ، وانتسق فى سلك محتذوها ، وكانت له إشارات غامضة وعبارات عن منازل الملحين غير داحضة ، ووجدت له مقالات ردية ، واستنباطات مردية ، نسب بها اليه زهق ، وظهر له فيها مزحل عن الرشد ومزهق " (٢٥) وردد ذلك نقلاً عنه المقرئ فى نفح الطيب . (٢٦)

عوامل ظهور ابن مسرة الاندلسى :

يرى المستشرق الاسبانى الكبير انخيل جونزاليث بالنثيا ان ابن مسرة اول مفكر اصيل انجبته اسبانيا الاسلامية ، وليس ذلك فحسب بل ان جميع الباحثين الاسبان قد بذلو جهداً كبيراً فى تحليل ظاهرة المفكرين المسلمين الذين نبغوا على ارض الاندلس وتحمسوا لهم حتى تمادوا الى القول بان السبب فى نبوغهم او تفوقهم او تميزهم فى مجالات فكرهم انما يرجع الى اصولهم الاسبانية و الى الدماء التى تتدفق فى عروقهم منذ ما قبل الاسلام ويبدو ذلك واضحاً عند آسين بلاثيوس خاصة حين يقول : " ان استيعاب الانسبان المسلمين - يقصد بذلك الاندلسيين - للثقافة المشرقية لا يعنى انتفاء القانون الطبيعى الابدئ لاستمرارية الفكر

٢٣ ابن الفرضى : علماء الاندلس الترجمة ١٢٠٤ .

٢٤ - ابن حيان : المقتبس ج - ٥ ص ٢٠ - ٢١

٢٥ - الفتح بن خاقان : المطمح ص ٢٨٦

٢٦ - المقرئ : فتح الطيب - ٥ ص ٩٨

الايبيرى ، فإذا كان المفكرون الاحرار فى فكرهم قد رحلوا خارج وطنهم بحثاً عما يشبع حنينهم الى المثالية الروحية ، فإن ذلك لم يكن منهم الا اجتهاداً او تخميناً ، لأنه فى هذه الارواح والضماير كانت ومازالت تجرى حتى الآن - على الرغم من القشرة السطحية للدين الجديد - الرغبات والدفائن و التطلعات لشعب كان قبل اعتناقه الاسلام قد سبق له اعتناق مشاعر و افكار عقيدة أخرى قد لا تختلف عن الاسلام فى جوهرها ولكنها كانت اكثر عطاء فى محتواها العاطفى ، ومكتملة فى تطورها الفلسفى تطوراً كاملاً .

ان الآثار العميقة للافلاطونية المحدثه فى اللاهوت الكنسى المسيحى و التراث الفيشاغورى و تقاليد الفيشاغورية الجديدة ومذاهب العارفين قد تركت جذورها الراسخة فى النفوس وكانت تلك النفسية العرقية الكامنة خلف حشايا النفس هى المحركة ، ولو بدون شعور ، للحياة الفكرية الاسبانية بنفس سمات حياة التقشف والزهد و النسك بما فى ذلك افكار وحدة الوجود عند الطبيعيين أو فى كل ما هو مرئى ونظرى إلخ (٢٧)

ولكى يدعم اسين بلاثيوث آراءه فإنه ينقب فى أصل اسرة ابن مسرة وهل هى عربية الاصل أم من الموالى ويسعد جداً بما أوردته كتب التراجم عن عبد الله بن مسرة ، وأنه كان احمر الوجه ، شبيه بالنورمان ، أوصقلى حتى انهم كانوا يمزحون معه لشقرته " إياك ان يبيعك اهل البصرة " (٢٨) ليؤكد انه من أصول اسبانية ومن ثم فإن هذه الاصول هى المنهل الحقيقى الذى يتدفق منه النبوغ الذى تميز به بعد ذلك محمد بن مسرة .

ومع تقديرنا للمشاعر التى حدثت بالمستشرق الاسبانى لكى يحاول ان يجعل للاصول الاسبانية فضلاً فى تكوين الحضارة الاسلامية على ارض الاندلس الا اننا نتمسك بأن الحياة الفكرية الاسلامية بدواماتها الدينية و الدنيوية وماتميزت به من سماحة الى جانب القدرة المذهلة على الاستيعاب و الهضم هى التى انجبت امثال هؤلاء المفكرين المتميزين بفكرهم ، وأن هؤلاء قد نشأوا فى رحم الحضارة الاسلامية وفى كنفها تربوا ، وعلى أرضها وبين أهلها شبوا وكبروا وترعرعوا وأزهروا وأثمروا ، وانهم لم يكونوا أكثر من نتاج البيئة المحيطة بهم .

Σ≤†≠ - Asin Palacios : Iben masarra y su Escuela p29 .

٢٨ - وردت هذه الرواية ضمن ترجمة عبد الله بن مسرة انظر المقتبس ج٥ س ٣٢

نقطة ، أخرى لم يأت محمد بن مسرة من فراغ ، فهو ولا شك وليد بيئة تشبعت بالفكر سواء القادم من المشرق أو المنتح على نفس الارض ، ولقد كان والده وعمه من التجار الذين انتابوا بلاد الشرق الاسلامى وحملوا من هناك الأفكار الفلسفية وآراء المعتزلة وهى الآراء والأفكار التى تبنى عليها ابن مسرة وساهمت فى قدح زناد قريحته حتى أضحى بعد ذلك أحد

القائلين بها والساعين لنشرها .

ومن جانب آخر يؤكد الدكتور عبد الرحمن بدوى انتشار مبادئ المعتزلة فى شمال افريقية وأنها كانت بطنجة و ما حول تاهرت فى بلاد الجزائر فى القرن الثانى الهجرى (٢٩)

فاذا أضفنا إلى ذلك وجود الفكر الشيعى على أرض الاندلس على الأقل منذ النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى أمكننا أن نقول ونحن مطمئنون بان ابن مسرة ليس الا نتاج تطور طبيعى لبيئته وأسرته ولم يكن هناك حاجة ملحة إلى تلك الأصول الاسبانية البعيدة التى أشار اليها بلاثيوس

أبرز خصائص مذهب ابن مسرة

على أى شىء يقوم مذهب ابن مسرة ؟ يبدو من الاخبار القليلة التى تبقت لدينا عنه أنه كان يجمع بين بعض مبادئ المتصوفة وبين بعض أصول الاعتزال ، فلم يكن معتزلياً خالصاً ولا باطنياً خالصاً ، فأما المبادئ الاعتزالية التى كان يقول بها فهى قوله بالاستطاعة و الوعد و الوعيد ورؤية الله . ويقول ابن حزم : إن ابن مسرة شارك المعتزلة فى القول بالقدر ، وكان يقول إن علم الله وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان وإن لله تعالى علمين أحدهما أحدثه جملة وهو علم الكتاب - وهو علم الغيب - كعلمه أنه سيكون كفار ومؤمنون بالقيامة والجزاء ونحو ذلك ، والثانى علم الجزئيات ، وهو علم الشهادة ، وهو كفر زيد وإيمان عمرو ونحو ذلك ، فإنه لا يعلم الله تعالى من ذلك شيئاً حتى يكون ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) وأما المبادئ الباطنية فإنه بناها على آراء منسوبة لا نبذوقليس ، وليست له ، وإنما هى بعض آراء فيلون الاسكندرى وأفلوطين ، ومن الآراء المنسوبة لا نبذوقليس الجمع بين معانى صفات الله وإنها كلها تؤدى الى شىء واحد وأنه إن وصف بالعلم والجود والقدرة فليس هو ذا معان متميزة تختص بهذه . الأسماء المختلفة ، بل

٢٩ - عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ١٩٧

هو الواحد بالحقيقة الذى لا يتكثر بوجه .. وتزعم الفرقة الباطنية أن لانبذوقليس رموزاً قلما يوقف عليها . وقد يستنتج مجاء فى كتب ابن مسرة أن النبوة اكتساب لا اختصاص وأنه قد يحرزها من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة النفس ، وإن انكر بعض أصحابه نسبة هذا القول له . وقد أبرز مذهب ابن مسرة نظرية ثانوية موجودة فى تاسوعات أفلوطين وهى القول بوجود مادة روحانية يشترك فيها جميع الكائنات عدا الذات الالهية . واعتبرت هذه المادة أول صورة برزت للعالم العقلى الذى يتألف من الجواهر الخمسة الروحانية . وقد دافع ابن مسرة عن هذا المذهب تحت ستار اسلامى من آراء المعتزلة والباطنية . (٣٠)

انتشار المذهب المسرى :

لقد نجح ابن مسرة نجاحاً كبيراً فى تأليف الناس من حوله وكان على درجة كبيرة من اللباقة والقدرة على التعليم اعترف له بها جميع المؤرخين . وتكفى هنا عبارات ابن حيان للدلالة على تمكنه من القلوب فيقول : ولم يلبث دعائه مع انتشارهم فى البلاد أن تلبسوا بعده بما أوعزهم من مكنون علمه ، وأخذ عليهم من بثه ومذيعوهم وصفت اليه افئدة جماعة من الناس خاصة وعامة أذاعوه سراً ، وأفشوا مذهبه ، وغبطوا من فاء اليه واعتقده ، فانتشر بقرطبة وطراً الى بلاد سواها وزن به جماعة ... (٣١)

ويقسم المؤرخون طلاب ابن مسرة الى مجموعتين رئيسيتين :-

المجموعة الأولى هى التى عاصرتة وتعلمت على يديه أو التى استمعت الي طلابه المباشرين . وهؤلاء هم الذين تعرضوا لنقمة السلطات سواء على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر أو الحاجب محمد بن ابي عامر الملقب بالمنصور . ويشير آسين بلاثيوس الى حقيقة هامة جداً وهى أن معظم هؤلاء لم يكونوا طلاب مباشرين لابن مسرة رغم كونهم من أهل قرطبة أو

٣٠ - احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى ص ٣٣ - ٣٤ - كما أحيل القارىء الكريم الى كتاب تاريخ

الفلسفة الاسلامية لهنرى كوربان الصفحات من ٣٢٩ الى ٣٣٥

٣١ - ابن حيان : المقتبس ج ٥ ص ٢٢

من القاطنين بها . واننا لا نعرف اعدادهم على وجه التحديد لكنهم جميعاً كانوا من أهل العلم والادب والشعراء والمؤرخين . وان بعضهم قد هاجر الى المشرق لاستكمال دراسته هناك كما انخرط بعضهم بعد ذلك فى سلك المحدثين وان طاردهم باستمرار شبهة المسرية (٣٢)

وأشهر هؤلاء الطلاب الذين اشارت اليهم كتب التراجم

١ - احمد بن فرح بن منتيل المتوفى عام ٣٤٤ هـ (٣٣)

٢ - أيوب بن سليمان الطليطلى المتوفى ٣٤٣ هـ وكان قديم الجوار لابن مسرة طويل الملازمة له

٣ ، ٤ - الياس بن يوسف الطليطلى المتوفى ٣٢١ هـ وأخوه عون .

٥ - خليل بن عبد الملك تفقه بكتب ابن مسرة وضبطها وكان غاية فى الزهد والورع وكان معلناً بالاستطاعة ، مشهوراً بالقول بالقدر وربما كانت تأويلاته تفسر لنا تأويلات ابن مسرة كقوله إن الصراط هو الطريق أى الاسلام و الميزان هو عدل الله توفى ٣٢٣ هـ .

٦ ، ٧ ، ٨ - محمد بن فضل الله بن سعيد ، وحكم وسعيد ابنا منذر بن سعيد القاضى وكلهم تفقه بكتب ابن مسرة . وعن حكم يروى ابن حزم ويصفه بالصدق .

٩ - احمد بن وليد من أهل بجانة يعرف بابن أخت عبدون وهو احد النفر الذين استتابهم محمد بن يبقى وتوفى عام ٣٧٦ هـ .

١٠ - رشيد بن فتح الدجاج قرطبى ، صلى عليه محمد بن يبقى ويظهر أنه استتابه ووفاته ٣٧٦ هـ .

١١ - أبان بن عثمان المتوفى ٣٧٧ هـ من أهل شذونة .

١٢ - عبد العزيز بن حكم الأموى المتوفى ٣٨٧ هـ كان مائلاً الى الكلام و النظر وقد غرض منه انتحاله لمذهب ابن مسرة .

١٣ - محمد بن مفرج المعارفى ويعرف بالفتى المتوفى ٣٧١ هـ وكان يدعو إلى المذهب

٣٢ - ٨٨ - ٨٧ p . Iben masarra : Asin placios

٣٣ - ابن الفرضى : علماء الاندلس الترجمة ١٢٩

ولا يقف عند حد الاعتقاد به .

١٤ - ابن الإمام المتوفى ٣٨٠ هـ وكان لا يتستر فى اعتقاده ، مولعاً بالتشريق فى صلاته

١٥ - محمد بن عبد الله بن عمر بن خير القيسى المتوفى ٣٨٢ هـ وأصله من جيان ،

أشهد على نفسه - فى النهاية - أنه غير معتقد لشيء من مذهب ابن مسرة (٣٤).

أما المجموعة الثانية التى تبنت افكار المدرسة المسرية رغم اضطهاد محمد بن ابي عامر وقاضيه ابن يبقى فقد شكلت جماعة سرية فى كل من قرطبة وبجاية فقد اتخذت إماماً لها يطيعونه طاعة تامة كما لو كان الخليفة الحقيقى ، بل زادوا على ذلك ان دفعوا له زكاة أموالهم ، واحتفظوا فيما بينهم بأسرارهم الباطنية . وكان على رأس هذه الجماعة اسماعيل بن عبد الله الرعينى الذى لا تكشف المصادر عن نسبه كثيراً ، وإن كان معاصراً لابن حزم ، وكان من المجتهدين فى العبادة ، المنقطعين فى الزهد ، ويرى فيه آسين بلاثيوس أنه جدير بان يكون خليفة لابن مسرة فقد اخذ نفسه بالشدة ، وسلك طريق الورع والطيبة ، ونذر النفس لله سبحانه وتعالى صائماً عابداً مبتعداً عن العالم ومن فيه واتخذ لنفسه صومعة على شاطئ نهر صغير في بلدة بجاية بمقاطعة المرية (٣٥) ويرى د. احسان عباس ان آخر من نعرفه من أصحاب ابن مسرة هو اسماعيل بن عبد الله الرعينى وهو متأخر عن الجيل الثانى منهم ، وقد ادركه ابن حزم ولم يلقه " وكان من المجتهدين فى العبادة ، المنقطعين فى الزهد " . وقد أحدث في المذهب أقوالاً سبعة فنفر عنه سائر المسرية وكفروه ، الا قليلاً منهم وما أحدثه قوله إن الأجساد لا تبعث ابداً ، وإنما تبعث الأرواح ، وكان يقول : إن الانسان حين يموت تلقى روحه الحساب ، ويصير إما الى الجنة وأما الى النار ، وأنه لا بعث الا على هذا الوجه أبداً ، وكان يقول : العالم لا يفنى أبداً وكان لا ينسب الفعل الى الله وينزهه عن ذلك ، ويرى ان العرش هو الذى يدير العالم ، وينسب قوله الى ابن مسرة ويستشهد على ذلك بأقوال فى كتبه ، قال ابن حزم : ليس فيها لعمري دليل على هذا القول . ولما برئ منه المسرية بقيت

٣٤ احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى ص ٣٥ - ٣٦ وانظر ايضاً المزيد من الاسماء فى كتاب آسين

بلاثيوس ص ٨٨ .

٣٥ Asin palascios : Iben masarra y su Escuela p . p 92 - 93

تتبعه ابنته متكلمة ناسكة مجتهدة ، وقال ابن حزم إنه (أى ابن حزم) عرض هذه الاقوال على ابن لاسماعيل فانكر كل ذلك . قال : "ورأيت انا من اصحاب اسماعيل من يصفه بفهم منطق الطير وبانه كان ينذر باشياء قبل ان تكون فتكون . وهناك أمور لا شك فيها وهى أنه كان عند فرقته إماماً واجبة طاعته يؤدون اليه زكاة أموالهم . وكان يذهب الى ان الحرام قد عم الارض وانه لا فرق بين ما يكتسبه المرء من صناعة او تجارة او ميراث او بين ما يكتسبه من الرفاق . وان الذى يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيفما أخذه - هذا أمر صحيح عندنا عنه يقيناً ، وأخبرنا عنه بعض من عرف باطن أمورهم انه كان يرى الدار دار كفر مباحة دماؤهم وأموالهم الا اصحابه فقط وصح انه كان يقول بنكاح المتعة "(٣٦)

اما هنرى كوربان فانه يلخص المراحل التى مرت بها المدرسة المسرية في الاندلس منذ نشأتها وحتى نهايتها - متفقاً في ذلك مع غالبية المؤرخين الاسبان على النحو التالي . لا يمكننا تتبع المراحل التى مرت بها مدرسة ابن مسرة ، وهى التى كانت اول مجتمع صوفى قام فى اسبانيا الاسلامية . وكان على هذه المدرسة ان تعيش فى وسط يعوزه التسامح ويسوده الحذر والمناكيدات والتهم الباطلة ؛ بما اضطر اتباع ابن مسرة الى اتباع نظام باطنى مشدد فألفوا تنظيماً سرىً تراتيبياً يقوم على رأسه "امام " . ابرز من نعرف من هؤلاء الائمة فى مطلع القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) اسماعيل بن عبد الله الرعينى ، وقد عرفت ابنة اسماعيل هذا ، بين المستجيبين ، بتضلعه العجيب من المعارف اللاهوتية . وما يدعو للأسف ان انشقاقاً حصل ، أثناء حياة اسماعيل ، فقد فى أثره كل أثر للمدرسة كتنظيم اجتماعى . ومهما يكن من امر فان الاتجاه الصوفى فى افكار ابن مسرة ما كف عن تأثيره العميق .

ان الشهادة القاطعة على فعل الفكر الصوفى عند ابن مسرة فى صلب الصوفية فى اسبانيا ، تظهر فى التأثير البين الذى قام به الوسط الباطنى فى مدرسة ألميرية . بعد موت اسماعيل الرعينى فى مطلع القرن السادس للهجرة (الحادى عشر للميلاد) وفى أوج سيطرة المرابطين ، غدت (الميرية) عاصمة للفكر الصوفى فى اسبانيا . وقد سن ابو العباس ابن

العارف طريقة جديدة للحياة الروحية تستند الى الحكمة الالهية عند ابن مسرة . وقام ثلاثة من تلاميذه بنشر هذه الطريقة هم : (ابو بكر المايوركيلى) فى غرناطة ، وابن برجان الذى سوف يقترن اسمه باسم ابن عربى فى اشبيلية ولكنه نفى الى مراكش بصحبة ابن العارف ، وماتا كلاهما فى حدود العام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) و "ابن قصى " الذى نظم المستجيبين لمدرسة ابن مسرة فى "الغارب " (فى جنوب البرتغال على شكل فرق {ميلشيا} دينية يدعى اعضاؤها ، علي غرار المتصوفين ، بالمريدين . فى مذهب الحكمة الالهية ، عند هؤلاء ، وفى تنظيمهم الاجتماعى ، ملامح مشتركة مع ملامح الفكر الاسماعيلى . ولقد ظل "ابن قصى " إماماً حاكماً يتمتع بنفوذه طيلة عشر سنوات فى منطقة "الغارب " ثم توفي عام ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م وولد "ابن عربى " بعد موت "ابن قصى " باربعة عشر عاماً سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م وألف كتاباً ضخماً شرح فيه المؤلف الوحيد الذى وصلنا عن ابن قصى "وهو شرح حكى الهى صوفى للامر الذى تلقاه موسى امام الجب المشتعل : " اخلع نعليك انك فى الوادى المقدس طوى " السورة ٢٠ آية ١٢ (٣٧) .

موقف السلطات من ابن مسرة

لم يتعرض محمد بن عبد الله بن مسرة طوال حياته لأية مضايقات من الناحية الرسمية ، وقد نجح فى اخفاء آرائه ومعتقداته حتى لقى ربه عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م فى صومعته بالجبل القربى محاطاً بتلاميذه وكان له من العمر ما يقارب خمسين عاماً .

ولعل وفاة ابن مسرة كانت سبباً فى خلخلة نظام الامن والسرية المفروض بشدة على ما كان يدرسه من آراء يمكن ان تكون خطراً عليه وعلى طلابه فبدأت الافكار تنتشر علناً وتنتقل الكتب من يد الى يد أخرى ومن مدينة الى مدينة ثانية ومن الاندلس الى شمال افريقيا فالمشرق الاسلامى "فكثر القول فى شأنه ، وشيم الخلاف من تلقائه ، فذعر له أهل السنة من قرطبة ، وتوقعوا منه البلية ، وفزع فقهاؤهم وكبارهم بهمة الى اصحاب الخليفة الناصر

لدين الله فنبهوا عليه بما " (٢٨)

أمر عبد الرحمن الناصر صاحب مدينة عبد الله بن بدر بالبحث فى أمر هؤلاء المسرية ، والتنقيير منهم ، والقصر لآثارهم ، وطلب الدلائل عليهم ، والايقاع بمن صح لديه انه منهم أو متول لهم ، فتجرد ابن بدر لهم فشد فى تخويفهم و اغلظ لمن عثر عليه منهم فجرت لهم خطوب يطول شأها (٢٩) وليس لدينا تفاصيل عن تلك الخطوب التى انزلها ابن بدر بأصحاب ابن مسرة وأن اخبرنا الرازى فيما يرويه عنه ابن حيان انه فى يوم الجمعة لتسع خلون من ذى الحجة سنة اربعين وثلاث مائة قرىء على الناس بالمسجدين الجامعين بالحضرتين قرطبة والزهراء كتاب أمير المؤمنين الناصر لدين الله الى الوزير صاحب المدينة عبد الله بن بدر بانكاره لما ابتدعه المبتدعون ، وشد فيه الخارجون عن رأى الجماعة ، المنتمون الى صحبة محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلى ، وانتحلوه فى الديانة فاخذعوا العوام بما أظهره من التقشف فى الزى والتقشف فى المعيشة ، واستتروا لبدعتهم بسكنى الاطراف البعيدة حتى استمالوا بفعلهم عصابة ضلت بضاللتهم وفرقة فتنن بمذاهبهم . وأن ذلك بلغ امير المؤمنين ففحص عنه وعلم صحته فتعاضمه ، واستوحش من اجترأ تلك الطائفة الخبيثة عليه

فأوعز الى وزيره متولى امكام مدينته تتبع هذه الطائفة والتحرى لها ، واخافتها والبسط عليها ، والقبض على من عثرعليها منها وإنهاء خبره الى امير المؤمنين مشروحاً ، ليأتى من نظرة فى شئونهم حسب ما يوجب الحق ويوفقه الله لاتباعه ، فنظر الوزير عبد الله بن بدر بالاعذار الى هؤلاء العصب المارقة ، والوعيد ان لم يفيثوا الى الفلاح ، ويلوذوا بالتوبة وانفذ الخليفة الناصر لدين الله الى أفاق ملكه بشأن هؤلاء المبتدعة كتابا طويلاً قرىء عليهم بامصارهم من انشاء الوزير الكاتب عبد الرحمن بن عبد الله الزحالى وسيوضح نص هذا الخطاب ضمن ملحق فى نهاية هذا البحث (٤٠) .

٢٨ - المصدر السابق ص ٢٢

٢٩ - المصدر السابق ص ٢٢

٤٠ - ابن حيان : المقتبس ص ٢٤ - ٢٥ .

وإذا كان الرازى قد حدد بدء هذه الحملة فى التاسع من شهر ذى الحجة عام ٣٤٠ هـ فإن ابن حيان يقول " وتمادى الطلب لهذه الفرقة المسرية والإخافة لهم ، وتخويف الناس من فتنهم ، بقية أيام الناصر لدين الله (٤١) ولم يكتف الناصر لدين الله بالكتاب العام الذى أصدره عام ٣٤٠ هـ ، بل عاد يؤكد عهده لصاحب المدينة مرتين بعد ذلك أحدهما فى عام ٣٤٥ هـ والأخرى فى عام ٣٤٦ هـ ، فذكر الرازى فى تاريخه قال : " وفى يوم الجمعة لثمان خلون من ربيع الأول سنة خمس وأربعين وثلاث مائة قرىء على أبواب المسجد الجامع بقرطبة عهد للوزير صاحب المدينة عبد الله بن بدر ، وأوعز به إلى جماعة الناس فى أصحاب محمد بن مسرة باستشعار ضجرهم واعتقاد المنابذة لهم والتوافق على القلى لهم والقيام عليهم لتعاقبهم على ما أبتدعوه من مخالفة السنة والشذوذ عما عليه الجماعة ، استمع له الناس فازدادوا فى النفور منهم بصيرة ، وقوموا به باعتقاد رأيهم جماعة شعروا هم ذلك ومخافته ، وعاد لمثل ذلك فى العشر الأخير من شعبان سنة ست وأربعين وثلاث مائة ، بعدها فقرىء على أبواب الجامع بقرطبة عهد مجدد منه فى البحث عن أصحاب ابن مسرة المبتدعين والتحريض على طلبهم إذا فارقوا الجماعة وخالفوا السنة (٤٢) .

ثم هدأت الأمور قليلا نتيجة وفاة الخليفة الناصر وتولى الخلافة ابنه الحكم المستنصر بالله ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦٥ - ٩٧٦ م. وقد كان حقاً راعياً للعلوم والآداب ، عالماً كبيراً وسنداً يعتمد عليه ، وصفه جونزاليث بالينيثيا Goanzalez Palencia قائلاً : أن تسامح الحكم مع العلماء لم يكن محدوداً ما دفعهم إلى الإلتفاف حول بلاطه ، ولقد قام بحمايتهم حتى الفلاسفة منهم ، وأعطى لهم الحرية. ومن هنا تمكن الرياضيون والفلكيون من التدريس علناً لطلابهم (٤٣)

٤١ - ابن حيان : نفس المصدر ص ٣٠ .

٤٢ - ابن حيان : نفس المصدر ٣٠ وانظر أيضاً محمد عبد الحميد عيسى فى كتابه : تاريخ التعليم فى الأندلس - دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٨٢ الصفحات ١٥٥ وما بعدها .

٤٣ - Palencia, A. Historia de la literatura arabigo Espanola, PP. 20,238

وجاء عصر المنصور محمد بن ابي عامر الذي اراد التقرب ولو ظاهرياً لمشاعر العامة والفقهاء ورجال الدين فعمد بعد ان اصبحت السلطة فى يده الى خزائن الخليفة الحكم ، وابرز ما فيها من ضروب التأليف بمحضر من خواص اهل العلم والدين ، وأمرهم باخراج ما فى جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة فى علوم المنطق وعلوم النجوم وتميز ذلك من علوم الاوائل . . .

وأمر باحراقها وافسادها ، فأحرق بعضها ، وطرح البعض فى آبار القصر وهيل عليها بالتراب والحجارة ، وغيّرت بضروب من التغيير ، وفعل ذلك تحبباً الى عوام الاندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة عندهم . (٤٤)

وكان من الطبيعى ان يلقى اتباع ابن مسرة اضهاداً حقيقياً وتولى قاضيه محمد بن يبقى من زرب مسألة الرد عليهم ، وقام باحراق كتب ومؤلفات كل من كان يشك فى انه من اتباع ابن مسرة ، أمام المسجد الجامع بقرطبة وعلى مرأى جمع غفير من الناس ، ومن بينهم أصحاب هذه المؤلفات ، أورد ذلك أبو الحسن النباهى فقال : اعتنى ابن زرب المتوفى يعام ٣٨١ هـ بطلب أصحاب ابن مسرة ، والكشف عنهم ، واستتابة من علم انه يعتقد مذهبهم ، وظهر للناس كتاباً حسناً وضعه للرد على ابن مسرة ، قرىء عليه ، وأخذ عنه ، وفى سنة (٩٦١م) استتاب جملة من الناس جىء بهم اليه من اتباع ابن مسرة ، ثم خرج الى جانب المسجد الجامع الشرقى ، وقعد هناك ، فأحرق بين يديه ما وجد عندهم من كتبه واوضاعه ، وهم ينظرون اليه فى سائر الحاضرين (٤٥) ومن المحتمل ان ابا بكر الزبيدي اللغوى الاندلسى قد شارك القاضى ابن زرب فى ملاحقة اتباع ابن مسرة فقد كان "محافظةً يمتت الفلسفة ويرمى اصحابها بالكفر والزندقة . شأنه فى ذلك شأن فقهاء المالكية فى عصره ، وويتجلى ذلك فى موقفه من ابن مسرة ، فقد كان أحد الذين الفوا فى الرد عليه ، وربما شارك فى استتابة

وانظر ايضاً تاريخ التعليم فى الاندلس المشار اليه ص ١٢٦ .

٤٤ - صاعد الطبقي : طبقات الامم ص ٨٨ ، ومحمد عبد الحميد عيسى صقر : تاريخ التعليم فى الاندلس ص

١٤٥ .

ظ ٤٥ - النباهى : تاريخ قضاة الاندلس ص ٨٧ ، وانظر ايضاً تاريخ التعليم فى الاندلس ص ١٤٥ - ١٤٦ .

أصحابه واحراق ما بأيديهم من كتبه واوضاعه . (٤٦)

المدرسة المسيحية واروبا :

واخيراً فإن دراسة آسين بلاثيوس تؤكد ان الافكار المسيحية لم تمت على ارض الاندلس ، وانما ظلت متواصلة وتجددت باستمرار فى الفكر الصوفى ، وانها انتقلت بعد ذلك الى الفكر الاوربى حيث يرى فى لوليو Duns Escot Lulio الصدى المسيحى للفكر المسرى (٤٧) الى ان يخلص الى القول ان دراسة تاريخ الفكر فى العصور الوسطى تبين لنا كيف ان الفلسفة الاغريقية ولدت تحت عباءة الحضارات الاخرى وعلي وجه التحديد عباءة الحضارة الاسلامية وان نهضة الفكر الكلاسيكى الذى شهده القرن الخامس عشر الميلادى في احضان المسيحية الاوربية ، تستمد مصادرها الاولى من العصور الوسطى المبكرة والمتأخرة ، وان الاسلام فى الشرق كان هو الوارث للعلوم الاغريقية وهو الذى نقلها بعد ذلك الى العصور الحديثة الاوربية . (٤٨)

واخيراً رغم كل الدراسات التي اجريت حول تأثير ابن مسرة بالافكار الفلسفية الاغريقية ، يبقى السؤال قائماً كما طرحه الاستاذ الدكتور مصطفى الشكعة ، هل كان محمد بن مسرة زنديقاً حقيقياً ؟ (٤٩)

ولا اجد إجابة على ذلك التساؤل ابلغ من تلك العبارات التي صاغها ابن حارث الحشنى منذ القرن الرابع الهجرى وقال فيها : الناس فى ابن مسرة فرقتان ، فرقة تفضله وتبلغ به مبلغ الامامة فى العلم والزهد والمعرفة وفرقة تبعده عن ذلك وتطعن عليه بالبدع كما ظهر فى كلامه من الوعد والوعيد وتخرجه عن طريق العلوم المعهودة بارض الاندلس الجارية علي مذهب التقليد والتسليم . وما زالت القضية صالحة للطرح حتى يومنا هذا والله ولى التوفيق .

الدكتور محمد عبد الحميد عيسى

استاذ التاريخ الاسلامي المساعد

كلية التربية جامعة عين شمس القاهرة

٤٦ - العزاوى : ابو بكر الزبيدى ص ٦٨ .

٤٧ - Asin palacios : Iben masarra p 126

٤٨ - Asin palacios : Iben masarra p 127

٤٩ - مصطفى الشكعة - المغرب والاندلس ص ٧٢

- ١ - احسان عباس :
الدكتور
تاريخ الادب الاندلسى - عصر سيادة قرطبة .
دار الثقافة ببيروت - الطبعة السادسة ١٩٨١ م
- ٢ - اسين بلاثيوس :
إبن مسرة و مدرسته : اصول الفكر الفلسفى فى اسبانيا الاسلامية
مدريد ١٩١٤ م
Asin palacios : Iben masrra y su Escuela , madrid 1914
- ٣ - اسين بلاثيوس :
إبن عربى - ترجمة د . عبد الرحمن بدوى - بيروت ١٩٧٩
- ٤ - أبى بشكوال :
إبى القاسم خلف بن عبد الملك المتوفى ٥٧٨ هـ
كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦
تاريخ الفكر الاندلسى ، الطبعة الثانية مدريد ١٩١٤ م
Gonzalez palencia : Angel
Historia de la literatura Arabigo - Espanol 2 Edicionmad-
rid 1914
- ٥ - جونثاليث بالينثيا :
أبى عبد الله محمد بن فتوح بن عبد اله المتوفى ٤٨٨ هـ
جذوة المقتبس ، تصحيح محمد بن تاويت الطنجى .
طبعة القاهرة . مكتب نشر الثقافة الاسلامية و تاريخ المقدمة
١٣٧٢ هـ
- ٦ - الحميدى :
المقتبس السفر الخامس تحقيق بدر شالميتا وآخرين ، المعهد
الاسبانى العربى للثقافة ، مدريد ١٩٧٩ م .
- ٧ - إبن حيان :
الفتح محمد بن عبد الله المتوفى ٥٢٩ هـ
مطمح الانفس و مسرح التأنس فى ملح أهل الاندلس . دراسة
وتحقيق محمد شرابكة - دار عمان ، الطبعة الاولى ١٩٨٣ .
- ٨ - إبن خاقان :
القاضى أبى القاسم صاعدين احمد المتوفى ٤٦٧ هـ
طبقات الامم ، طبعة محمود صبيح بالقاهرة د . ث .
- ٩ - صاعد الطبقي :
احمد بن يحيى بن عميرة المتوفى ٥٩٩ هـ ، بغية الملتبس ، دار
- ١٠ - الضبى :

- الكتاب العربي ١٩٦٧ م
الدكتور
١١ - عبد الرحمن بدوي :
التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، دار القلم بيروت -
الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م
- ١٢ - العزاوي :
نعمة رحيم
ابو بكر الزبيدي الاندلسي ، العراق ١٩٧٥ م.
- ١٣ - عنان :
محمد عبد الله
دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الاول - القسم الثاني
مكتبة الخالجي بالقاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩ م .
- ١٤ - ابن الفرضي :
أبي الوليد محمد بن يوسف الازدي المتوفى ٤٠٣ هـ
تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة القاهرة
١٩٦٦ م
- ١٥ - كروث ايرنانديث :
ميجل
تاريخ الفكر في العالم الاسلامي ، من الاسلام الاندلسي الى
الاشتراكية العربية ، مدريد ١٩٨١ م
- cruz Hernandez : Miguel
Historia del pensamiento en el mundo Islamico Desde El
El Eslam Andalusi hasta el socialismo árabe madrid 1981
- ١٦ - ابن الكناني الطيب:
كتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس تحقيق د . احسان عباس
، دار الثقافة ببيروت
- ١٧ - محمد عبد الحميد عيسى :
الدكتور
تاريخ التعليم في الاندلس ، دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٨٢ م
- ١٨ - مصطفى الشكعة :
الدكتور
المغرب و الاندلس - افاق اسلامية وحضارة انسانية دار الكتاب
المصري و اللبناني بالقاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٨٧ م

١٩ - المقرئ :

الشيخ احمد بن محمد التلمساني المتوفى ١٠٤١ هـ
نفح الطيب من غصن الاندلسى الرطيب تحقيق يوسف الشيخ محمد
البقاعى . دار الفكر العربى للطباعة ببيروت ، الطبعة الاولى
١٩٨٦ م

٢٠ - هنرى كوربان :

تاريخ الفلسفة الاسلامية - ترجمة نصير مروة - منشورات عويدات
ببيروت وباريس ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

=====

ملحق البحث :

كتاب الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله في التنديد

بمذاهب ابن مسرة

=====

* اشارة الى هذا النص لأول مرة المرحوم الاستاذ / محمد عبد الله عثمان ، انظر

كتابه دولة الاسلام في الاندلس ، ثم تم تحقيق مخطوطته ضمن السفر الخامس

مقتبس ابن حيان ، ونشرت نصه ايضا ضمن كتابي تاريخ التعليم في الاندلس .

محمد عبد السيد عيسى

كتاب الخليفة في التنديد بمذهب ان مسرة وأتباعه

أنفذ الخليفة الناصر لدين الله ، الى آفاق ملكه ، بشأن هؤلاء
المتدعة كتابا طويلا قرى عليهم بأمصبارهم من انشاء الوزير الكاتب
عبد الرحمن بن عبد الله الزجاجي نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فان الله ، تعالى جده وعز ذكره ، جعل دين الاسلام
أفضل الأديان ، فأظهره وأعلاه ولم يقبل من عباده غيره ، ولا رضى
ممن سواه ، فقال ، في محكم تنزيله (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فكل
يقتل منه) (١) الآية ، وقضى في محتوم أمره ونفاذ حكمه أن ينسخ به
الديانات ويختتم برسالاته الرسالات ، فبعث محمدا خاتم النبيين وأكرم
الأكرمين وأعز الخلائق على رب العالمين بأن كتب الصلاة والسلام
عليه في عرشه قبل أن يخلقه ، واسطفاه لأمانته قبل أن يكونه ،
وأرسله بأفضل دين سماء حنيفا الى خير أمة أختارها وسطا (٢) .
لما قال ، عز من قائل ، اذ عرفنا فضل ما هدانا اليه من الدين وكرمنا
به على سائر الأمم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر) (٣) الآية ، فله ، جل جلاله وتقدست أسماؤه ،
الشكر على خصائص هذه الفضيلة والحمد بالمنة الجليلة ، فقد استنقذ
من الغواية وهدى فأحسن الهداية ، وأنار فأبان الخجة وكفانا بواضح
المناهج مؤنة الفكرة ونظم زمان الأمة وجمع وجوه السعادة العاجلة
والنجاة الآجلة في تأليف الجماعة واجتناب نزعات الفرقة ، حيث يقول
عز وجهه لنبيه ، المخصوص بهداه ، صلى الله عليه وسلم ، تحفيا به

(١) قرآن ، س ٣ ، آية ٨٥ .

(٢) قرآن ، س ٢ ، الآية ١٢٣ .

(٣) قرآن ، س ٣ ، الآية ١٠ .

وبعباده ، ورأفة بسطها على خير خلقه ، واعلاما لهم بتواصل الدين من قبله لأنبيائه وكرامة لاختلافهم بعد رسوله — صلعم — (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (٤) الآية ، فخوف وحذر ونهى عن تفرق الكلمة و (نبه) على البعد ٠٠٠/ونفى الله الخبائث عنها ، وفضلها على سائر البلدان واستقر فيها الدين كهيئته يوم أكمله الله لعباده ، ولما استوسعت الطاعة وشملت النعمة وعم الأقطار بعدل أمير المؤمنين السكون والدعة ، طاعت فرقة لا تبتغى خيرا ولا تأتمر رشدا ، من طغام السواد ومن ضعف آرائهم ومن خشونة الأوغاد ٠٠٠ كتبنا لم يعرفوها ضلت فيها حلومهم ، وقصرت عنها علومهم ، وظنوا أنهم فهموا ما جهلوا وتفقهوا غيما لم يدركوا ، واستولى عليهم الخذلان وأحل عليهم بخيله ورجله الشيطان ، فزينوا لمن لا تحصيل لهم ولقوم آمنين لا علم عندهم ، فقالوا بخلق القرآن واستيأسوا وآيسوا من روح الله (ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) (٥) ، وأكثروا الجدل في آيات الله ، وحرفوا التأول في حديث رسول الله — صلعم — فبرئت منهم الذمة بقوله تقديست أسماؤه (ألم ت إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ، فسوف يعلمون) (٦) — الى قوله (اذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون • في الحميم ثم في النار يسجرون) (٧) ، فهذا أبان الوعيد وأفضع النكال (من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) (٨) ثانى عطفه (ليضل عن سبيل الله) (٩) انى قوله (عذاب الحريق) (١٠) ، ثم تجاوزوا في البهتان ، وسدوا على أنفسهم

(٤) قرآن ، س ٤٢ ، آية ١٣ .

(٥) قرآن ، س ١٢ ، آية ٨٧ .

(٦) قرآن ، س ٤٠ ، آية ٦٩ ، ٧٠ .

(٧) قرآن ، س ٤٠ ، آية ٧١ ، ٧٢ .

(٨) قرآن ، س ٢٢ ، آية ٨ . او س ٣١ ، آية ٢٠ .

(٩) قرآن ، س ٢٢ ، آية ٩ .

(١٠) قرآن ، س ٢٢ ، آية ٩ .

أبواب الغفران : فأكذبوا التوبة وأبطلوا الشفاعة ونالوا معكم التنزيل
وغامض متشابه التأويل : بتقدير عقولهم (فأما الذين في قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منه ، ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله) (١١) . الى قوله
(وما يذكر الا أولو الأبواب) (١٢) فصاروا بجهل الآثار وسوء حمل
الأخبار الى القدح في الحديث وترك نهج السبيل . فأساءوا الفهم عن
العلوم : وأقدموا بمكروه القول في السلف الصالح : واستبدلوا على
نقلة الحديث : ووضعوا من الكتب أوضاعها وتابعوا شهواتهم فيها .
وتتابعوا فيما أوبقهم وورطهم ورأوا لتخضع وحشية ، يحثهم لازم
الضلالة وداعية الهلكة والشذوذ عن مذهب الجماعة من غير نظر نافذ في
دين ولا رسوخ في علم ، حتى لقد تركوا رد السلام على المسلمين ، وهي
التحية التي نسخت تحية الجاهليين ، خلافا على أدب الله تعالى وقوله :
جل جلاله (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) (١٣)
وقالوا بالاعتزال عن العامة ، وشدوا أزره فأثروه ، وانكشفوا فنكرهم
(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) (١٤) الآية ، فلعجوا في جهالتهم ،
وتأهوا في غيهم ، ونكسوا على رؤوسهم : حقدا على الأمة انحنيفية .
واعتقادا ابغضتها ، واستحلالا لدمائها ، وتذرعوا الى انتهاك حرمة
وسبى ذرياتها (قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم
أكبر) (١٥) الآية ، لولا أن سيف أمير المؤمنين من ورائهم ، ونظره محيط
بهم ، ولما صار غيهم فاشيا وجهلهم شائعا ، واتصل بأمر المؤمنين
من قدحهم في الديانة ، وحدوفهم عن الجادة ، ما شغل نفسه ، وأقضى
مضجعه وأسهر ليله ، أغلظ أمير المؤمنين في الأخذ فوق أيديهم (١٦) :
وأوعز إيعازا شديدا وانذارا فظيما ، وعهد عهدا مؤكدا شافيا كافيا .

(١١) قرآن ، س ٣ ، آية ٧ .

(١٢) قرآن ، س ٣ ، آية ٧ .

(١٣) قرآن ، س ٤ ، آية ٨٦ .

(١٤) قرآن ، س ٣٩ ، آية ١٨ .

(١٥) قرآن ، س ٣ ، آية ١١٨ .

(١٦) اقتباس من القرآن ، س ٨٤ ، آية ١٠ .

نظر به لوجهه ، تبارك اسمه (١٧) ، وقدم فيه بين يدي العقاب الشديد ، وأمر بقراءة كتابه هذا على المنبر الأعظم بحضرته ، ليقرع قلب الجاهل ، ويفت كيد المستهتر الحائر ، وينقض عزم المعاند المعاجل ، ويضطر الغواة الى الانابة الصحيحة التي تقبلها الله منهم ، أو يكشف عن الأذهان سرائرهم ، فيكون عليهم الشهيد ، و (انهم آتيهم عذاب غير مردود) (١٨) . ورأى أمير المؤمنين أن يشمل بنظره أقطار كوره ، ويرسله في بدوه وحضره ، وأن ينفذ عهدك اليك والى سائر قواده وجميع عماله بها ، يقرأ على منابر المسلمين ولا يحرم القاصى بأعم الدانى من تطهير هذا الرجز وتمحيصه ، وكفاية المسلمين شبهة وفتنة فلم تحل الديار ، ولا تعفت الآثار ، ولا استحق البلاء على قوم ، ولا أهلك الله أمة من الأمم الا بمثل ما انكشف به هذه الطبقة الخبيثة من التبديل للسنة والاعتداء فى القرآن العظيم وأحاديث الرسول الأمين ، صلوات الله عليه وسلم — هذا عند ورودك عليك فى الجامع قبلك ، وانشره فى أسماع رعيته ، وتتبع هذه الطائفة بجميع أعمالك ، وابث فيهم عيونك ، وطالب فيهم غورهم جهدك ، فمن تجلى بطبقته أن انتسب اليهم ، وقامت عليه البيئات بذلك عندك فاكتب الى أمير المؤمنين بأسمائهم ومواضعهم وأسماء الشهود عليهم ونصوص شهاداتهم ليعهد باستجابتهم الى باب سدته ، لينكروا بحضرته فيذهب غيظ نفسه ويشفى حر صدره واياك أن تداهن فى أهل الريبة وتتخطاهم الى ذوى السلامة والأخوة الصالحة ، فان فرطت فى أحد الأمرين أو كليهما فقد برىء الله منك وأحل دمك ، فأعمله واعتمله ، أن شاء الله تعالى » .

(١٧) اقتباس من القرآن ، س ٥٥ ، آية ٧٨ .

(١٨) قرآن ، س ١١ ، آية ٧٦ .